

من رسائل القديس صفرونيوس القصيرة

روح الفضول الباطل

من رسائل القديس

الأب صفرونيوس القصيرة

١– "لا تقل في قلبك مَن ينزل إلى الهاوية لكي يُصعِدُ المسيح مِن بين الأموات". بهذه الكلمات خاطَبَ الرسولُ الكنيسةَ الجامعة محذِّراً إياها من روح الفضول الباطل؛ لأن الذي اهتم بالخلاص، ليس البشر جميعاً، وإنما الله. ولم تذكر الكتب المقدسة أن الله أقام إنساناً مخلِّصاً، بل هو وحده المخلص.

٢– لذلك، احذروا أيها الإخوة سموم الأريوسية القاتلة، ولا تقل في قلبك كيف هو ابنُ الآب، وكيف هو مولودٌ قبل كل الدهور من جوهره؟ فهذه أسئلةُ الفضولِ. والبحثُ عن الأسرار الفائقة غيرُ متاحٍ للإنسان؛ لأنه مخلوقٌ من العدم، فهو لا يدري كيف خُلِقَت الأرض، ولا يدري سِرَّ اتحاد النفس بالجسد، ومتى تبدأ حياته، ولا حتى متى تنتهي. فإن كانت الأمور القريبة من الحِسِّ والإدراك، صارت صعبةً علينا، فكيف الأسرار الإلهية العالية؟

٣– اِخبرني كيف خُلقت الأشجار، أو كيف نُظِّمت عناصر الكون؟ اِخبرني إن كنت تستطيع: كم عدد الذين عاشوا قبلنا، وكم عدد الذين سيأتون؟ فإن كنا لا نعرف هذه المسائل الصغيرة جداً، فكيف يمكننا –ونحن مجرد حبَّاتِ رملٍ على شاطئ الخليقة– أن ندرك البحرَ العظيم، أي الله الذي لا حدَّ له.

٤– لنبتعد عن الفضول ومحاولة الارتفاع إلى مستوى أعظم من مستوانا البسيط؛ لأننا كلما ارتفعنا وسقطنا، صار سقوطُنا أكثر ألماً.

٥- فإن هاجت علينا أمواجُ أسئلةٍ باطلة، لترمينا في بحيرة الحـــيرة والقلـــق وتفسد علينا الهدوء والصمت، فلنتمسك فالإقرار بأننا خُلِقنا من العدم، وليس لـــدينا قدرة على إدراك أغوار الله السحيقة. لنبتعد في مثل هذه الأوقات عن الجدل، ونحرص على راحة الفكر والجسد؛ لأن التعب يزيد من عدم ضبط الحواس.

صفرونيوس يسألكم الصلاة لأجله، ولأجل المبتدئين، والـــذين في الشـــركة (الدير).

+ + +